الأسباب والأعمال المنجية من عذاب القبر وفتنته

للمؤمن الصالح في عموم عمله أسباب منجية له من عذاب القبر وفتنته، فليس على المؤمنين الصالحين حزن وخوف لا في الدنيا ولا في عالم البرزخ ولا في الآخرة، إذ يعيشون في الدنيا مطمئنين بوعد اللَّه سبحانه أن يقيهم همَّ الدنيا وحزن الآخرة، بدءاً من البرزخ وانتقالاً إلى عالم الآخرة، ونهاية في الدخول إلى الجنة. يقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٦٢]

وقد بشرهم ربهم بأنهم لن ينالهم خوف ولا حزن لا في البرزخ ولا في الآخرة بل هم في أمان اللَّه وحفظه ورعايته، تستقبلهم الملائكة بالبشرى منذ لحظة الموت إلى أن يلقوا ربهم وخالقهم يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيات: ١٠١ ـ ١٠٣]

. . . ومع ذلك فإننا نستطيع بعون اللَّه تعالى أن نستخلص من

عموم العمل أسباباً ظاهرة ومخصوصة هي في الواقع منجية للإنسان من عذاب البرزخ.

١ ـ الاستقامة:

الاستقامة لها معانٍ كثيرة في عموم لفظها وإذا أخذناها ضمن استطاعة التكليف، وأن اللَّه سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها، فهي الشعور بمراقبة اللَّه تعالى للعمل الذي يؤدي بدوره إلى الاستقامة في القول والفعل والعمل والهدف والمقصد ضمن قدرة الإنسان واستطاعته بحدود التكليف.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

[سورة فصلت، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

٢ ـ الرباط في سبيل اللَّه تعالى:

وهو أن تقف مدافعاً وحامياً وحارساً ومرابطاً على الحدود والتخوم وفي مواقع الحروب، والنية المعقودة في النفس نصرُ اللَّه سبحانه والدفاع عن دينه وحرمةِ ديار المؤمنين الموحدين للَّه سبحانه.

. . . عن سلمان رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه وأمن الفتّان».

[رواه مسلم]

أي فتنة وعذاب القبر ومحنته وشدة هوله.

٣ ـ الشهيد في سبيل اللَّه تعالى:

وشروط الشهادة أن تكون خالصة لوجه اللَّه تعالى متمثلة في الدفاع عن دين اللَّه وعن الأرض والجهاد في سبيله.

عن المقدام بن معد يكرب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«للشهيد ستُّ خصال يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه».

[رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح]

٤ ـ شهادة أن لا إلٰه إلّا اللَّه والإكثار من قولها في الليل والنهار:

...ولم لا وهي تاج الوقار على رأس قائلها يوم القيامة، وتاج العز والشرف، وهي القول الفصل لأهل التوحيد، وعلامة بارزة تفصل ما بينهم وبين الأمم الأخرى الكافرة في البرزخ ويوم القيامة، وهي الأمان والحرز والفيصل في الدخول إلى جنات اللَّه تعالى والابتعاد عن النار.

...عن ابن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ليس على أهل لا إلٰه إلّا اللَّه وحشة في قبورهم ولا منشرهم، وكأني أنظر إلى أهل لا إلٰه إلّا اللَّه وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد للَّه الذي أذهب عنّا الحَزَن، وفي رواية: **ليس على أهل لا إلٰه إلاّ اللَّه وحشة عند الموت ولا عند القبر».**

[رواه ابن ماجه والترمذي وهذا لفظه وقال: حسن صحيح]

. . . عن أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« أبشروا وبشّروا مَن وراءكم: أنه من شهد أن لا إلٰه إلا اللَّه صادقاً بها دخل الجنة ».

[رواه أحمد والطبراني]

ومن قالها صادقاً فلا بد أنه أحسن العمل بما يرضي اللَّه سبحانه، ومن وُعِدَ بالجنة لشهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه صادقاً بها، فحريٌّ به أن يُوقى عذاب القبر وشدة أهواله.

. . . عن زين العابدين عن أبيه الحسين عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي اللَّه عنه يرفعه إلى رسول اللَّه ﷺ أنه قال:

« من قال كل يوم وكل ليلة مائة مرة: لا إلٰه إلا اللَّه الملك الحق المبين كان له أماناً من الفقر وأنساً من وحشة القبر واستفتح به الغنى واستقرع به باب الجنة ».

[أخرجه الديلمي والخطيب وأبو نعيم في الحلية من رواية مالك كما في المواهب وشرحها. . . وقد قال بعض رواة الحديث السالف الذكر. . لو رحلتم في تحصيل الحديث إلى الصين ما كان كثيراً أي لفضله وفضل رواته وعلو وشرف سنده]

٥ ـ الموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة:

. . . عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه اللَّه فتنة القبر ».

[رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب]

وللسائل أن يسأل: ولكن كثيراً من الكافرين والعصاة يموتون

ليلة الجمعة ويوم الجمعة. .والجواب: أنه يشترط الإيمان والعمل الصالح. .وهنا حكمة اللَّه وسنته في خلقه، فلو منع اللَّه سبحانه عن الكافرين والعصاة الموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، لأمن هؤلاء من الموت ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وأن الموت لا يأتيهم في ديارهم يوم الجمعة وليلتها، ولكن قضت سنة اللَّه أن يكون الموت في البشر في كل يوم وفي كل ساعة وفي كل دقيقة، حتى لا يأمن أحد جانب الموت ولو لساعة من نهار أو ليوم في الأسبوع. . . وهذه حال الموت أيضاً في ديار المسلمين، فإذا لم يتحلَّ الميت بالإيمان والعمل الصالح يوم الجمعة وليلتها، وكان من العصاة فلا أمان ولا وقاية له من فتنة القبر وعذابه الشديد وإن مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة.

. . .أما لماذا بالذات يوم الجمعة وليلتها؟ ذلك لأن اللَّه سبحانه عظَّم هذا اليوم وهذه الليلة، وأنزل في كتابة سورة سمّاها (سورة الجمعة) فقد عظَّم اللَّه سبحانه هذا اليوم والعمل فيه، وجعل في صلاة يوم الجمعة أجراً كبيراً، وجعل فيه ساعة ما دعا فيها العبد المؤمن ـ وهو قائم يصلي ـ ربه إلا أجابه إكراماً لهذا اليوم الفضيل، وليلة وفجر هذا اليوم، ومن صورة التفضيل حديث رسول اللَّه ﷺ:

. . .عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل اللَّه تعالى فيها خيراً إلا أعطاه اللَّه إياه ».

[رواه مسلم ومالك وأحمد]

. . .عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« أفضل الصلوات عند اللَّه تعالى صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة ».

[رواه البيهقي وأبو نعيم في الحلية وهو حديث صحيح]

والفضل في يوم الجمعة كثير لا يسعنا المقام لذكره. . ولكن خصصنا من ذلك ما يفيد عن فضله وعن وقايةِ اللَّه سبحانه من فتنة القبر لمن مات يوم الجمعة وليلتها.

٦ ـ سورة تبارك (الملك) والمحافظة على تلاوتها:

. . . عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال:

«ضرب رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ خباءً على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه ضربت (أي نصبت ووضعت) خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: هي (أي سورة تبارك) المانعة هي المنجية من عذاب القبر».

[رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب]

. . . عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أنه قال: من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه اللَّه عز وجل بها من عذاب القبر، وقال: كنا نسميها في عهد رسول اللَّه ﷺ المانعة.

[رواه النسائي]

وفي ترغيب المنذري: في كتاب اللَّه سورة أي تبارك من قرأ بها كل ليلة فقد أكثر وطاب.